

مقدمة الترجمة

بقلم الأستاذ محمد فريد أبي حديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد ، فإن العطاء في التاريخ كالأحياء في هذه الدنيا يختلف بعضهم عن بعض في الحظوظ ؛ فالأحياء يختلفون فيما يصيب كل منهم من المال أو الجاه أو الشهرة ، وعطاء التاريخ يختلفون فيما تصيب ذكرياتهم من التقدير والتجديد والتخليد . ولكن ذلك الاختلاف لا يمكن أن يجعل مقياساً للحقيقة ، وإنما مرجع ذلك كله إلى حكم الناس وإلى أنواع الموازين التي يزنون بها قيمة الأشخاص . وقد اختلفت تلك الموازين منذ القدم فهي تتباين في بعض العصور المتباينة بحسب اتجاه الميول في تلك العصور .

لهذا لا يصح أن يعد تقدير التاريخ لبطل من الأبطال في حقبة من الدهر دليلاً على حقيقة مقدار ذلك البطل . فقد يتغير ذلك التقدير في حقبة أخرى ، ولو طال الأمد على ذلك ؛ فإن الشاعر الإنجليزي الكبير شيكسبير مثلاً لم يكن له خطر عظيم في بلاده في أثناء حياته ولا بعد موته ؛ حتى مضى أكثر من قرن بعد ذلك ، ثم بدأت الأعين تتفتح إلى عظمته في بلاد غير بلاده وشعب غير شعبه ، وعند ذلك عاد إليه تقديره الحقيقي .

ولسنا في حاجة إلى الإطالة في هذا المعنى ولا إلى التدليل على صحته ، وإنما نقصد من قولنا أن نبين أن تاريخ البطل المصري الكبير إبراهيم باشا لم يلق إلى الآن ما هو جدير به من العناية ، ولم ترتفع ذكراه إلى المحل الذي كان يجب أن تسمو إليه . وكان لهذا سبب واحد ، وهو أن العصر الذي عاش فيه إبراهيم والعصر الذي تلا ذلك كان متجهاً بأنظاره واهتمامه إلى شخصية أخرى شغلت كل الأذهان واستولت على كل الألباب وهي شخصية الرجل العظيم محمد علي باشا . وكان إبراهيم باشا ممتازاً بصفة غلبت عليه وهي إيثاره لأبيه وإكباره له ؛ فكان لا يجب أن يذكر اسمه إلا مقترناً باسم مولاه ، ولا يرضى عن أن ينسب إليه فضل بل أن ينسب كل الفضل إلى والده الذي يلهمه ويوجهه ويقوده . وبذلك انمحت شخصيته فأصبح في الدولة والجيش والتاريخ أحد الأشخاص الذين ساعدوا واشتركوا وعملوا في إقامة الصرح الذي اعتلاه الرجل الفذ محمد علي باشا . ولا يسعنا إلا أن نعجب بهذا الإيثار الكريم وهذا الخلق النبيل ، ولكننا مع ذلك نرى أن الأيام لو تقدمت بإبراهيم قليلاً أو تأخرت فلم يعاصر أباه الكبير ، لكانت صورته أكثر وضوحاً وشخصيته أكثر بروزاً .

وإنه ليسرنا أن نتفتح العيون بعد مضي قرن على وفاة ذلك البطل إلى ذكره مرة أخرى ، ويبدأ البحث متجهاً إليه خاصة ليجلو سيرته للناس رغم النور الباهر الخاطف الذي ينبعث من أبيه ، لكي يظهر لهم حوادث حياته ووصفها وتحليلها . وإنه لمن المعجب في هذا الكتاب الذي بين أيدينا أنه يصور قائد جيوش مصر صورة جديدة لم يحاول فيها مجاملة ولا تجميلاً ؛ فأبرز مثلاً ما كان متصفاً به من القسوة في مبدأ حياته ثم بين كيف زالت منه تلك القسوة عندما أصبح قائد الجيوش المصرية الأعلى ؛ وكيف صار زميل الجندي المصري وصديقه بعد أن

جمعت بينهما أو اصر المجد و بعد أن قابلا معاً ما واجههما من الأخطار والمشقات ، كما أبرز ما كان بين إبراهيم وأبيه من خلاف أساسي في وجهات النظر ، وكيف كان إبراهيم مصرياً في عاطفته وعقله ، في حين كان أبوه إسلامياً في هاتين الناحيتين .
ولسنا نستطيع أن نأتى هنا على سائر مميزات الصورة الجديدة ، فإنما نمثل بهذين المثاليين لما يشيع في الكتاب من نواحي البحث المستفيض .
وإننا نرى أن هذا الكتاب هو خير كتاب لمؤلفه ، لأنه لم يحاول فيه أن يكون محامياً ، بل كان كل همه في البحث والتصوير والتحليل .

وقد قام بترجمة هذا الكتاب عن الإنجليزية الأستاذ الجليل محمد بدران ، وهو حجة في اللغتين العربية والإنجليزية ، فأضاف بذلك ثروة جلية إلى تاريخ مصر وإلى لغة العروبة ، كما أضاف من قبل إليها بما ألف وما نقل من اللغة الإنجليزية من نفيس الكتب .

ومما يدعو إلى الإعجاب أن قارى هذه الترجمة لا يكاد يتنبه إلى أنه يقرأ ترجمة لكتاب إنجليزي إلا حيث يعثر بتشبيه إنجليزي المنبت أو تعبير أجنبي الأرومة . فالأسلوب العربي المتين الذي يجمع بين السلاسة والقوة يكاد ينسى القارى أنه يقرأ كتاباً منقولاً إلى العربية غير أصيل فيها . وهذه الترجمة شاهد عدل بما بذل الأستاذ العرب فيها من جهد ، فإنه قد رد النصوص العربية الأصل إلى أصولها ، وصحح الأعلام وكانت في كثير من الأحيان محتاجة إلى التصحيح ، وأكمل المتن بالشرح والتعليق والتعقيب .

وقد ضمت لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع هذا الكتاب القيم حلقة ذهبية في سلسلتها المجيدة التي لاتزال تميها وتزيد فيها زيادة مباركة في خدمة العلم والثقافة العامة .

obeykandl.com

مقدمة

محمد علي غني بشهرته عن التعريف ؛ فقد بهرت شخصيته الرائعة كثيراً من الكتاب فعنوا عناية كبيرة بوصفها وإبرازها للناس . وسمح بعضهم لإبراهيم ابن محمد علي أن يظهر على مسرح السياسة ، ولكنهم اختصوه بدور غامض بعض الغموض أو كله ، فجعلوه السيف البتار في يد أبيه الفطن الأريب ، وصوروه بصورة الرجل الذي لا علم له بالشؤون السياسية ، وكأنه لم يكن إلا جندياً صخباً ، اتفق أن كانت مواهبه العسكرية أرقى من مواهب من كان يحاربهم من القواد . لذلك كتبت هذا الكتاب لكي أحق الحق وأظهر ما في هذا الاعتقاد من خطأ . ولست أقصد به إلى الخط من قدر محمد علي ، بل أقصد تأكيد الدور الذي اضطلع به إبراهيم في الشؤون العامة .

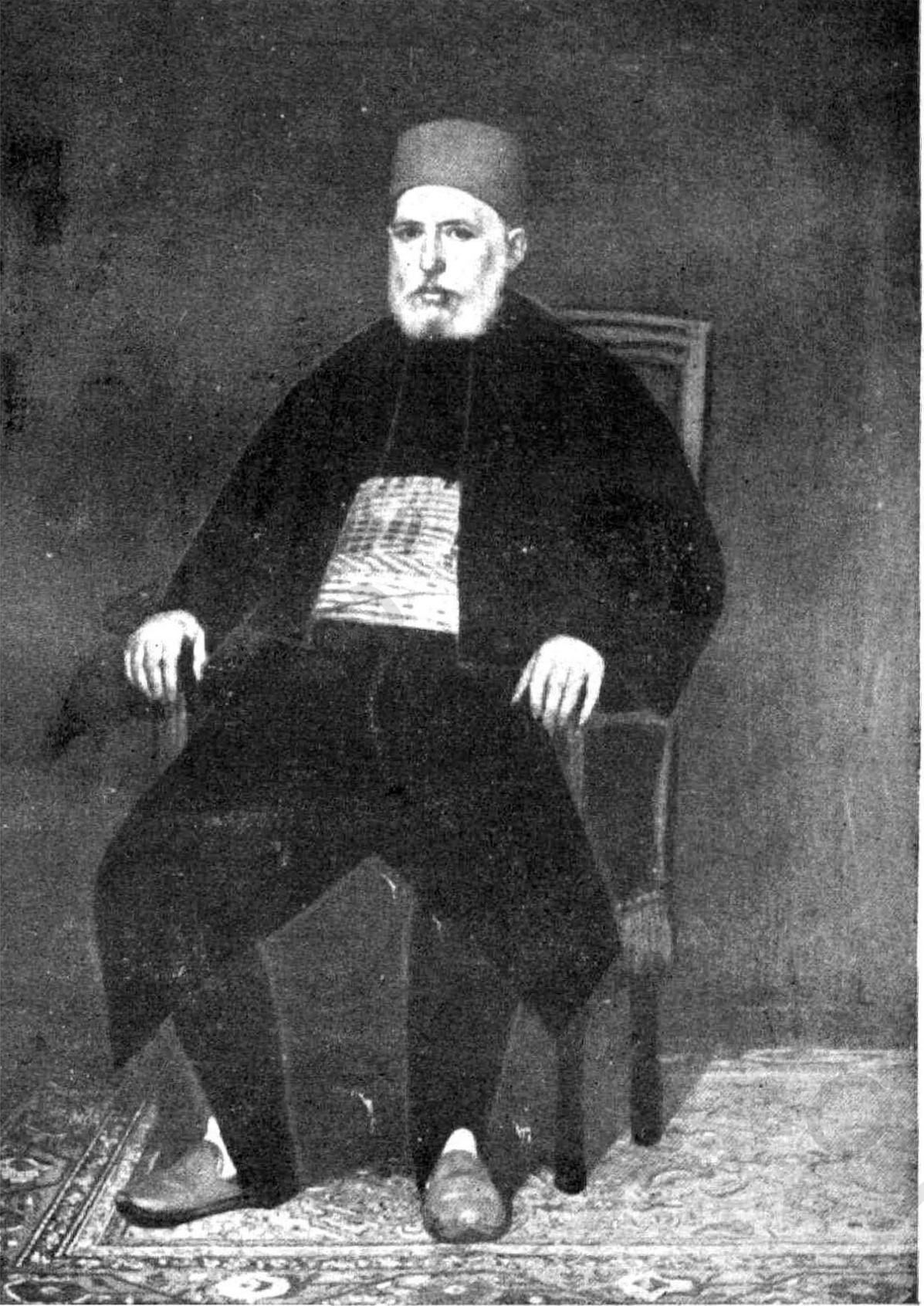
وقد جعلت مصر موضع بحثي ؛ ولكنني اضطررت إلى أن أخوض غمار السياسة الأوربية العليا في الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٢٠ - ١٨٤١ .

وهذا الكتاب يشهد بفضل الملك فؤاد ملك مصر الحاضر وبعد نظره وواسع علمه ؛ فهو الذي جمع الوثائق التي تتكون منها الآن محفوظات سراي عابدين الخاصة بحكم محمد علي ، والتي وجدت فيها تلك المادة الوافية التي اقتبست منها ما اقتبست في هذا الكتاب . وإني أتقدم بوافر الشكر وعظيم الاحترام

إلى جلالته ، إذ أجاز لي أن أستعين بهذه السجلات كلما شئت من غير قيد ولا شرط .

وقد أشرت في مواضع متعددة من هذا الكتاب إلى ما نشر حديثاً من صور التقارير الرسمية الموجودة في وزارة الخارجية الفرنسية والقنصليات اليونانية والروسية والفرنسية ، فضلاً عن التقارير التي كانت تحويها محفوظات الدول التي تتكون منها الآن مملكة إيطاليا . وقد أنفق جلالة الملك فؤاد مبالغ طائلة من ماله الخاص في جمع هذه المراجع ونشرها ، بعد أن كانت متفرقة مبعثرة في كثير من البلاد ، وبعد أن كان الوصول إليها في بعض الأحيان متعذراً أو في حكم المستحيل . ففي كل صفحة من صفحات هذا الكتاب إذن شاهد على تفكير الملك فؤاد وابتكاره ؛ وإني لمدين له بالشكر الجزيل .

obeykandl.com



إبراهيم باشا